Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ومهما يكن من أمر. فإن الموضوعات المذكورة، تفيد في تأويل دور الكتابة السردية في عملية انبناء الصورة الذهنية للطفولة. وماذا تمثل السيرة الذاتية، كما يمكن التأكيد مع گوسدورف، إلا هذا الطابع المتميز بالدوران حول صورة ما للأنا، بوصفها الإحالة الثابتة والنواة لكون من الدلالات ؟ [1]. وأحسب أن القاسم المشترك بين تلك الموضوعات، هو البحث عن التآلف والانسجام، من خلال ذكر العوامل الأسرية والتربوية والحياتية والإنسانية التي فعلت فعلها في التكوين الذاتي.

السفـــر إلى مـراكـــش

سيقوم الطفل رفقة أبيه، في هذه الحلقة الجديدة، بعد سنوات من الإقامة في مانشستر، بسفرته الأولى إلى المغرب. ونلاحظ أولا أن هذا المكان ورد من قبل كمكان للإنطلاق، إذ منه ارتحل إلى إنجلترا، بيد أن الرحلة لم تكن واعية، لأنه لا يحمل عنه، كما يروي في النص، أية صورة يتكئ عليها أو يستدعي رموزها في الاستذكار. ومن ثمة فإن الرجوع إليه سيصبح منطلقا آخر للمغامرة والإكتشاف، بل وسيصبح الإكتشاف بالذات عنصرا أساسيا في تكوين الشخصية فيما بعد، ذلك أن (الأساطير) التي كانت تروى له عنه، وهو في (مانشستر)، حولته إلى موضوع غرائبي مثير للدهشة، وبحصول التواصل المادي العياني ستنقشع كثير من الأوهام المنعقدة حوله، وسيصير (المغرب/المكان)، من ثم، عنصرا ثابتا في الذاكرة، يحكم ردود الأفعال في بعض الأحيان، ولكنه يُشعر صاحبه بالإنتماء في جميع الأحوال، خصوصا إذا ما اعتبرنا مسألة الإختلاف التي كانت تحاصر الطفل في المدرسة والشارع وفي نظام العلاقات وفي البيت كذلك.

فالوصول إلى المغرب يعد اكتشافا في النص، ولكنه اتصال بالجذور على مستوى العواطف النفسية. وهو رحلة في الزمن، ولكنه إلى مكان الجذور. هنا سنشرع تدريجيا في التعرف على طبيعة الشخصية المسرودة في النص وقد اكتست صفات أخرى لم تكن لها. لقد أصبحنا أمام طفل منتسب، له عائلة كبرى، فضلا عن العائلة الصغرى التي لم يكن يعرف سواها، وله انتماءات عائلية مختلفة لم يكن يفهم معناها، ولعل الاختلاف الذي كان يستشعره في المجتمع الإنجليزي، وهو تعبير عن التمايز الذي لم يكن يدرك له تفسيرا، أصبح له سياقه الذاتي الرامز للإنتماء إلى جماعة بشرية لها خصائصها النوعية المميزة ويفهم من هذا أن غرائبية الموضوع ستصبح مدعاة للافتتان

1 - Auto-bio-graphie, op. cit. p. 237.